

تفسير البحر المحيط

@ 328 الأصل قاله المبرد والطبري ، أو لأن الغرض الدلالة على الجنس ، أو لأن معنى يخرجكم كل واحد كقولك الرجال يشبعهم رغيف أي يشبع كل واحد . وقال الزمخشري : الأشد كمال القوة والعقل والتميز ، وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأشدة والقيود وغير ذلك وكأنها مشدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع انتهى . . .

وتقدم الكلام في الأشد ومقداره من الزمان . وإن من الناس من قال إنه جمع شدة كأن نعم جمع نعمة وأما القيود : فعن أبي عمرو الشيباني إن واحدة قيد { وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى } وقرء { يَتَوَفَّى } بفتح الياء أي يُسْتَوَفَّى أَجَلُهُ ، والجمهور بالضم أي بعد الأشد وقبل الهرم ، وهو { أَرَادَ الْعُمُرَ } والخرف ، فيصبر إلى حالة الطفولية ضعيف البنية سخييف العقل ، ولا زمان لذلك محدود بل ذلك بحسب ما يقع في الناس وقد نرى من علت سنه وقارب المائة أو بلغها في غاية جودة الذهن والإدراك مع قوة ونشاط ، ونرى من هو في سن الاكتهال وقد ضعفت بنيته أوضح تعالى أنه قادر على إنهائه إلى حالة الخرف كما أنه كان قادراً على تدريجه إلى حالة التمام ، فكذلك هو قادر على إعادة الأجساد التي درجها في هذه المناقل وإنشائها النشأة الثانية . . .

و { * ليكلا } يتعلق بقوله ، يرد { قال الكلبي * } قال الكلبي { يَسِيرُ لِكَيْلًا } يعقل من بعد عقله الأول شيئاً . وقيل { لِكَيْلًا } يستفيد علماً وينسى ما علمه . وقال الزمخشري : أي ليصير نسباً بحيث إذا كسب علماً في شيء لم ينسب أن ينسأه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته ، يقول لك من هذا ؟ فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه . وروى عن أبي عمرو ونافع تسكين ميم { الْعُمُرُ } . . .

{ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً } هذا هو الدليل الثاني الذي تضمنته ، والدليل الأول الآية ، ولما كان الدليل الأول بعض مراتب الخلقة فيه غير مرتبين قال { إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْعَةِ فَإِنَّهَا خَالِقَةٌ كُتُبًا } فلم يحل في جميع رتبته على الرؤية ، ولما كان هذا الدليل الثاني مشاهداً للأبصار أحال ذلك على الرؤية فقال { وَتَرَى } أيها السامع أو المجادل { الْأَرْضَ هَامِدَةً } ولظهوره تكرر هذا الدليل في القرآن و { الْعُمُرُ } ماء المطر والأنهار والعيون والسواني واهتزازها وتخلخلها واضطراب بعض أجسامها لأجل خروج النبات { وَرَبَاتٌ } أي زادت وانتفتحت . وقرأ أبو جعفر وعبد الله بن جعفر وخالد بن إلياس وأبو عمرو في رواية وربأت بالهمز هنا وفي فصلت أي ارتفعت وأشرفت ، يقال : فلان يربأ بنفسه عن كذا : أي يرتفع بها عنه . قال ابن عطية : ووجهها أن يكون من ربأت القوم إذا

علوت شرفاً من الأرض طليعة فكان الأرض بالماء تتناول وتعلو انتهى . ويقال ربه وربئة .
وقال الشاعر : % (بعثنا ربينا قبل ذلك مخملا % .
كذب الغضا يمشي الضراء ويتقى .
%) .

ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وتطورهم في تلك المراتب ، ومن إحياء الأرض حاصل بهذا
وهو حقيقته تعالى فه الثابت الموجود القادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وقد وعد
بالبعث وهو قادر عليه فلا بد من كيانه . وقوله { وَأَنْتَ السَّامِعُ } إلى آخره تأكيد
لقوله { ذَلِكَ بِأَنْتَ اللَّهُ } والظاهر أن قوله { وَأَنْتَ السَّامِعُ } آتية
ليس داخلاً في سبب ما تقدم ذكره ، فليس معطوفاً على أنه الذي يليه ، فيكون على تقدير .
والأمر { إِنَّ السَّامِعَ } وذلك مبتدأ وبأن الخبر . وقيل ذلك منصوب بمضمر أي فعلنا
ذلك . .

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
كِتَابٍ مُّذْنِبٍ * ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا
قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنْتَ اللَّهُ لَئِيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ * وَمِنَ النَّاسِ مَن
يَعْبُدُ اللَّهَ عِلَاقِي حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ
أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ انْقَلَبَ عِلَاقِي وَجْهَهُ خَسِرَ } . (سقط : خسر الدنيا والآخرة
ذلك هو الخسران المبين ، يدعو من دون الله ما لا يضر ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد ، يدعو
لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ، إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد ، من كان يظن أن لن ينصره الله
في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك
أنزلناه آيات بينات وأن الله)